خليل مطران

حرصت على أن أستمع إلى محاضرة الأستاذ موريس أرقش المحامى فى النادى الشرقى، وكان موضوعها «خليل مطران شاعر الأقطار العربية».. وقد عرض لى ما عاقنى عن الاستماع إلى هذه المحاضرة.

وأحسست أن شيئًا كثيرًا قد فاتنى. فإنى أحب خليل مطران. أحبه إنسانًا وأحبه شاعرًا.

والأستاذ أرقش فى طليعة الذين يستطيعون أن يتحدثوا عن مطران، فيطيلوا الحديث ويحسنوه.

ولقد عرفت خليل مطران فى عام ١٩٤٠، عرفنى به أنطون الجميل (باشا) وجبرائيل تقلا (باشا).

وكان أنطون الجميل يحب مطران الشاعر الإنسان، وكان جبرائيل تقلا يحب مطران الكاتب الإنسان. وكنت إذ ذاك أشرف على الصفحة الأدبية فى «الأهرام»، وكان أنطون (باشا) يشجعنى على إفساح الصفحة لقصائد الشعراء. وكان تقلا (باشا) يقول لى إن الصحف اليومية لا ينبغى أن يكون

فيها مجال للقصائد. واحتكمت إلى خليل مطران، وأنا واثق من أنه سيكون فى صف أنطون الجميل. وإذا هو يقول: جبرائيل تقلا عنده حق.. ولم يكن تقلا (باشا) حاضرًا معنا. وسألته: كيف تقول ذلك وأنت أبو الشعر والشعراء؟

فقال: إن الشعر فن جميل وإذا لم يوضع فى الإطار اللائق به، ذهب رونقه وأصبح مادة عادية مثل بقية المواد التى تنشرها الصحف اليومية. صار أشبه بباب الرياضة والبورصة والوفيات!

وخليل مطران كان معروفًا باسم شاعر القطرين. أى القطر المصرى وقطر الشام. وبعدما أصبحت الشام أقطارًا أطلق عليه اسم شاعر الأقطار العربية.

وهو، فى رأيى، أستاذ المدرسة الحديثة فى الشعر العربى. فقد كان الشعر قبله ألفاظًا ومعانى. فجاء مطران ونظم قصائد كل منها تمثل بناء قائمًا بذاته أو كائنًا حيًّا له رأس وقدمان ويدان ولسان وفكر وشعور، وهدف!

وقد بدأ محاولاته الشعرية الأصيلة فى أواخر القرن الماضى.

وفضل مطران على الشعر العربى من الناحية الفنية، لا يقل عن فضل محمود سامى البارودى من الناحية اللفظية.

ولقد نشأ شعراء كثيرون بعد مطران. وربما تفوق عليه شاعر أو أكثر. ولكنه تفوق التلميذ على الأستاذ.

ولقد شهد مطران تكريم الأدب له فى أخريات حياته. فقد تألفت فى عام ١٩٤٤ لجنة ضمت أدباء العروبة وعلماءها وفلاسفتها، وكان اسمها لجنة تكريم خليل مطران. وقامت اللجنة بطبع ديوانه فى أربعة أجزاء كبيرة، وأقامت حفلة فى دار الأوبرا تكلم فيها عشرون شاعرًا وخطيبًا. وحضرها الساسة والوزراء، وأساتذة الجامعات. وقام خليل مطران، وألقى أبياتًا بصوت ضعيف خافت.. عبر فيها عن شكره. وبعد عام على ما أذكر، سكت هذا الطود، ليدوى دائمًا فى تاريخ الشعر العربى الحديث.

المازنى الساخر

اختفى من دنيانا إبراهيم عبد القادر المازنى، مات فى المستشفى وكان قد دخله لإجراء عملية جراحية بسيطة، قبل

وفاته بساعتين كتب مقالا «لأخبار اليوم» وكان أحد كتابها.

وهكذا انتهت حياة المازنى كما بدأت كفاحًا، وكدحًا، وعملا، وإنتاجًا، وتأملا، وتفكيرًا، واضطلاعًا بالمسئولية من أول رمق إلى آخر رمق. فقد واجه المازنى أعباء الحياة وهو طفل صغير مات أبوه وهو فى السادسة من عمره، وتولت والدته تربيته، وأدرك فى طفولته ما تعانيه أمه فى سبيله فتحمل معها المسئولية بقوة وشجاعة، فكان لا يكلفها شيئًا فوق طاقتها، تعطيه مصروفه اليومى فيأخذه ثم يرده إليها كاملا فى نهاية الأسبوع. تقدم له كل يوم ثلاث وجبات من الطعام فيكتفى بوجبتين فقط. تشترى له بدلتين فيستعمل بدلة واحدة. فلما كبر وأصبح قادرًا على الكسب، حمل أمه فوق كتفيه، وأكرمها. وكان رب أسرة ممتازًا فهو يعيش لأبنائه وزوجته، يشقى ليسعدهم، ويتعب ليريحهم. وقد عانى فى حياته إرهاقًا كثيرًا. تخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٠٩ واشتغل بالتدريس فى وزارة المعارف، واستقال ليشتغل فى المدرسة الإعدادية وهى مدرسة أهلية، وكان يدرس معه الأستاذان عباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات. ثم ترك مهنة التدريس واشتغل بالصحافة. وقد عمل مع أمين الرافعى

فى الأخبار، ومع عبد القادر حمزة فى البلاغ، ورأس تحرير جريدة الاتحاد، واشتغل فى صحف دار أخبار اليوم.

والمازنى كاتب كبير صاحب أسلوب فذ فى الكتابة والنقد.

وقد كان برغم عنفه فى مهاجمة خصومه ودفع عدوانهم عليه مهذب اللفظ، عفًا، مؤدبًا ينأى عن الصغائر، ويترفع عن التجريح. وكان يحمل فى رأسه عقل فيلسوف، ويحمل فى ضلوعه قلب فنان وكان شجاعًا فى إبداء رأيه، وفى العدول عن هذا الرأى إذا ما تبين أنه كان مخطئًا.. هاجم شوقى الشاعر ووصفه بأنه قطعة متلكئة من قديم الزمن.. فلما مات شوقى رثاه وقال إنه ظلمه حين جرده من مكانته ووصفه بأنه شاعر عظيم وأن فقده خسارة لا تعوض.

وقد كان المازنى على حبه للحياة يسخر منها ولا يباليها ويراها ثوبًا يجدر بالأحياء أن يخلعوه. وقد عبر عن هذا الشعور فى كتابه حصاد الهشيم فهو يقول:

«إن الحياة شىء حسن. له فضله ومزيته، ولكنه على ذلك ثوب يحسن أن يخلعه المرء إذا شاء أن يفوز بحقه!»

أغانى أم كلثوم وأغانى عبد الوهاب

قال لى أستاذ جليل إنه شديد الإعجاب بأم كلثوم وعبد الوهاب وإنه قد استمع أخيرًا لأغنية عبد الوهاب :

الكاس بين ايدى والشوق بين عينى
وانت فين عيونك يا حبيبى

واستمع لأغنية أم كلثوم :

وقى الأرض شر مقاديره لطيف السماء ورحمانها

فتمنى لو أن عبد الوهاب هو الذى طلب إلى لطيف السماء ورحمانها أن يقى الأرض شر مقاديره.. وتمنى لو أن الكأس كانت بين يدى أم كلثوم والشوق بين عينيها وأنها هى التى تتساءل : فين عيونك يا حبيبى !

ومضى الأستاذ الجليل يقول : لقد لاحظت أن بعض أغانى أم كلثوم فيها رجولة عبد الوهاب وأن بعض أغانى عبدالوهاب فيا رقة أم كلثوم... وكنت أتمنى أن تعبر أم كلثوم عن طبيعتها، وأن يعبر عبدالوهاب عن طبيعته !

قلت إن سر ذلك يرجع إلى أن عبد الوهاب وأم كلثوم ظلا فترة طويلة يتنافسان على عرش الغناء. وكان كل منهما يحاول أن يجذب إليه جمهور الآخر. فغنت أم كلثوم للجنس الخشن وغنى عبد الوهاب للجنس الناعم!

قال الأستاذ الجليل: إن الفن الصحيح هو التعبير عن الحياة. وإن عبد الوهاب أو أم كلثوم لا ينقصه التعبير، ولكن ينقصه إحداث انقلاب كبير... انقلاب تنساب فيه أغانى عبد الوهاب من شفتي أم كلثوم وتنطلق أغانى أم كلثوم من فم عبد الوهاب!

من هو... ولى عهد شوقى

ظهر فى لبنان ديوان شعر باسم «دفتر الغزل» للشاعر أمين نخله. وقد سجل الشاعر فى دفتره أبياتًا لأحمد شوقى نظمها عندما زار لبنان قبيل وفاته، وقال فيها عن الشاعر أمين نخله:

هذا ولى لعهدى ... وقيم الشعر بعدى
فكل من قال شعرا ... فى الناس عبد لعبدى

وقد قرأت فى مجلة الآداب اللبنانية مقالا طريفًا بقلم مارون عبود، نقد فيه دفتر الغزل وحلله، وداعب الشاعر برأيه فيه فقال إنه «شاعر كبير وكاتب كبير!» واتهمه بالاعتماد على الدعاية فى ترويج بضاعته. ودلل على ذلك بأنه قدم ديوانه بأبيات شوقى التى أعلن فيها أن نخله أمير الشعر بعده! وبأبيات أخرى لشاعر يونانى اسمه «بابادى باناتوس» أثنى فيها على شاعرية أمين نخله. وقد أطلق نخله على باناتوس هذا لقب شاعر اليونان!

وقد تساءل مارون عبود: «ترى من قال لشوقى إننا نعترف بولايته حتى ينصب ولى عهد؟ فكل شىء يورث إلا العلم. ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعل له قيمًا؟».

إننى متفق مع الأستاذ عبود فى أن العلوم والفنون لا تورث. وفى رأيى أنه لا يصح أن يكون للشعر أمير أو ملك. ولكن هذا لا ينفى حقيقتين، إحداهما أن شوقى كان شاعرًا عظيمًا، وأن محاولاته فى الشعر التمثيلى ارتفعت به إلى القمة والصدارة فى تاريخ الشعر العربى. أما الحقيقة الأخرى فهى أن شعراء العرب فى عهد شوقى اعترفوا بإمارته للشعر. بل إنهم بايعوه فكان فى وقت واحد ملكا ورئيس جمهورية!

وقد تمت هذه المبايعة فى مهرجان أقيم بالقاهرة عام ١٩٢٦ واشترك فيه شعراء لبنان والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن، وقال حافظ إبراهيم يخاطب شوقى :

أمير القوافى قد أتيت مبايعًا وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

ولكن هذه المبايعة وما أحيطت بها من ضجة وبهرج لم تمنع كثيرين من استنكارها مع اعترافهم بمكانة شوقى، وشاعريته الفذة. وقد أعدت جريدة السياسة الأسبوعية عددًا خاصًا عن شوقى امتلأت صفحاته بحملات شديدة تناولت شعر شوقى، وتصرفاته، وأخلاقه وصدر العدد الممتاز فى أيام المهرجان !

وغضب الشاعر محمد الهراوى لأن لجنة المهرجان تجاهلته ولم تدعه لإلقاء قصيدة، وكان من المعجبين بشوقى، فثار عليه. ونظم أبياتًا قال فيها :

هو فى أعينكم ملك.... لعله
وهى جمهورية لا ترى محله...
ليس منا شاعر لم يكن أجله
غير أنا معشر ليس يرضى ذله

كيف نلـق هـامنا حيـث يلـق نعلـه

وهكذا تمت مبايعة شوقى أميرًا للشعراء أو ملكًا أو رئيس جمهورية.. فى جو مشـحون بـالحب والبغضـاء، والـرضا والغضب.

وقد فرح شوقى بهذه المبايعة، فمن عيـوبه أنـه كان مـولعًا بالقشور يحب الثناء ويخاف من النقد. ويستهويه إطراء شـعره، وتلقيبه بأمير الشعراء، ومناداته بيا «باشا»!!

وهى عيوب بيضاء قد تنال منه كإنسان ولـكنها لن تنـال منه كشاعر عظيم عبقرى!

أما أبياته التى قال فيها عـن أمـين نخلـه: هـذا ولى لعهدى. فيخيل لى أنه أراد أن يداعب بها أمين نخله.. ومن يدرى لعل أمين نخله هو الذى أراد أن يداعب القراء!!